تحليل إخباري

الحل السياسي في سوريا:
مرحلة تحديد مستوى ومدى الانتصار... والهزيمة

يحيى دبوق

اغتيال السفير الروسي في تركيا، لا يمكن وليس من شأنه، التأثير سلباً في توجه الدولتين لتطبيع العلاقات بينهما. إرادة التطبيع أقوى من أي تداعيات لـ"حادثة تكتيكية"، رغم أهميتها. تبعاً لذلك، لا تغيير جدياً متوقع لاستراتيجيتي موسكو وأنقرة، وتوجهاتهما حيال المسألة السورية.

جاءت عملية الاغتيال في مرحلة حساسة جداً، ويُتوقع لها أن تدفع موسكو أكثر إلى التمسك بمواقفها في سوريا، وهي ستتوقع وستعمل بناء على هذا التوقع، أن تعمد أنقرة إلى تليين مواقفها في المقابل، في الوقت الذي تتجه الإدارة التركية لسلوك مرحلة "التليين القصري" لهذه المواقف بعد تقلص آمالها في الساحة السورية، وتحديداً في أعقاب قصور اليد التركية على تغيير مسارات الحرب. لقاء موسكو بين وزراء خارجية ودفاع روسيا وإيران وتركيا، يعدّ أهم حدث سياسي في مرحلة ما بعد استعادة الدولة السورية وحلفائها مدينة حلب. هي خطوة أولى باتجاه سحب إقرار من الطرف الآخر بالنتائج السياسية للانتصار الميداني. السؤالان المترابطان في سياق لقائي موسكو هما الآتيان: هل وصلت أنقرة إلى الحد الذي تقرّ به بخسارة الحرب ووفقاً لذلك ستقلص آمالها وتطلعاتها في الساحة السورية؟ أم أنها لا تريد أو لا تقوى على التعايش مع النتائج المقدرة سياسياً للحرب الميدانية، وستواصل مساعيها الهادفة إلى تخريب أو تأجيل الانتصار المتبلور؟

الوقائع الحالية والمقدرة لاحقاً، تشير إلى أن نتائج الحرب الميدانية بات بالإمكان تقديرها، وهي مسألة وقت لا أكثر. في الساحة السورية، ميدانياً، يوجد شبه منتصر وشبه مهزوم، بلا ضرورة كي يعلن أحد الانتصار الكامل أو الإقرار بالهزيمة الكاملة. المفاوضات السياسية في هذه المرحلة، وبناء على هذا الواقع، هي التي تقرر حدود التثمير السياسي للواقع الميداني المحقق حالياً، أو ذاك الذي بات بالمقدور تحقيقه لاحقاً: ماذا بإمكان الدولة السورية (الحاضرة بالوكالة بمعية حليفيها في لقاءات موسكو)، سحبه من تركيا بعد أن كادت تكون وحيدة في الميدان؟ وفي المقابل، ماذا بإمكان تركيا أن تقوم به، سياسياً، للحدّ من الانكسار؟

ولكي تتبلور المعطيات، التي تمكّن استشراف المآل السياسي في سوريا، من المفيد التذكير والإشارة إلى عوامل القوة والضعف، في موقف الأطراف:

خرجت وأخرجت الدول الخليجية الداعمة للجماعات المسلحة في سوريا. الفشل الذي منيت به ميدانياً، أخرجها بشكل مذل. لم يعد لهذه الدول تأثير مباشر على المجريات الميدانية، وبالتالي السياسية. نعم قد تكون حافظت على كونها قوى رديفة من ناحية إعلامية، وهي حرب تقودها بلا هوادة وما زالت مستمرة في زمن انكسارها الفعلي، ولا يقدر لها أن تنتهي قريباً. هذه الدول، من ناحية عملية، لم تعد ذات وزن في المعادلات.

خرجت أيضاً، الإدارة الأميركية الحالية وأخرجت بعد فشل، رغم كل المحاولات التي قامت بها ضد الدولة السورية وحلفائها. نعم، جهدت الإدارة الأميركية الحالية للانتصار في هذه الحرب، لكن منعة ومثابرة وموقف الطرف الآخر أحبط جهودها، فآثرت التراجع بعد أن وضعت أمام خيار لا تريده، وربما لا تقوى عليه: التدخل العسكري المباشر الواسع، بعد فشل كل الخيارات البديلة الأخرى. الحديث عن أن أميركا تراجعت لأن الإدارة تجبن في الصعاب وامام التحديات، هو حديث تسفيهي للواقع والوقائع التي واكبت الحرب السورية، فالتراجع الأميركي ليس نتيجة رؤية لدى إدارة، اكثر من كونه تراجع دولة وإمبراطورية لم تعد قادرة على خوض خيارات متطرفة.

في السياق نفسه، ثبت أن الجماعات المسلحة على اختلافها، غير قادرة على تحقيق المهمة. هذه الجماعات هي الخاسر الأكبر، وعليها وعلى أنقاضها، ستبنى التسوية السياسية كيفما اتجهت.. أقصى ما يمكن وفي حده الأدنى على السواء، سيكون على حساب هذه الجماعات. حان الآن موعد اجتثاثها بعدما أخفقت في تحقيق الوظيفة المسندة إليها، وكان في الأساس سيحين حصادها بعد ان تنهي وظيفتها، إن هي نجحت.

فشل الإدارة الأميركية في سوريا، والإعلان غير المباشر عن هذا الفشل على لسان الرئيس الأميركي الحالي، باراك أوباما، يأتي في موازاة وسياق استعادة حلب وتداعياتها على الميدان السوري، ومن شأنه أن يلقي بظلال ثقيلة جداً على الإدارة الأميركية المقبلة. التقدير، ما قبل حلب، ان تعمد إدارة الرئيس دونالد ترامب الى ما يشبه التملص من وعوده الانتخابية في سوريا، عبر طلب أثمان تراجعه فيها، لكن من شأن الواقع الميداني في مرحلة ما بعد حلب ان تدفع ترامب الى التمسك أكثر بمواقفه الانتخابية، بمعنى التراجع ضمن تسوية ما، بإمكان الدولة السورية تحمل كلفتها.

ضمن هذه المعطيات، تبقى الدولة التركية شبه وحيدة في الميدان، مع التشديد على شبه وحيدة. لكن ذلك لا يعني انها بلا مخالب.. الوجود العسكري التركي المباشر في الأرض السورية الذي لا يمكن تجاهل تأثيره، وقدراتها اللوجستية الفعلية على إطالة وتأجيل الانتصار العسكري عبر الجماعات المسلحة في الشمال السوري، يمكنها من الجلوس على طاولة المفاوضات مع أوراق، قد تراها معتبرة، وهي كذلك، لتحقيق حد أدنى من مصالحها في سوريا، وإن لم تكن في حجم ومستوى المصالح الواسعة التي كانت محددة في الماضي، التي وصلت الى حد التطلع لإسقاط الدولة السورية والامساك بها.

في هذا الاطار يشار الى جملة من المصالح التركية في سوريا، تتقاطع مع مصلحة الدولة السورية وبالتبعية مع حلفائها أيضاً.. كما هو الحال مع التطلعات الكردية في سوريا، وهي مصالح تعد من ناحية انقرة محققة مهما كانت نتيجة التسوية، لأنها لا تتعارض بل تتوافق مع مصلحة خصومها واعدائها في الميدان. تطلع انقرة سيتجه نحو دائرة أوسع من دائرة التقاطع في المصالح، فهل أوراقها تسمح لها بفرض توسيع هذه الدائرة؟

في الخلاصة، الحرب السورية لم تنته، وإن كانت سكة الحل موجودة ووضعت خياراتها وفرضياتها عليها، وبما يتوافق الى حد كبير مع مواقف الدولة السورية. مع ذلك، المسار طويل الى حين اعلان الانتصار وتثبيته، رغم ان المسار واضح بالإجمال. في المقابل، الطرف المقابل خسر ولم يتنازل حتى الآن، وإن تراجع فلأنه مضطر للتراجع لا اكثر، وهو معني بتأخير اعلان الانتصار وتأخير تثبيته، وسيسعى في سياق وموازاة ذلك لتحقيق اكبر قدر من المصالح، بمعنى الحد من الخسائر قياساً بالمكاسب التي كانت في متناول اليد في مراحل سابقة. بين هذا وذاك، ستدار المفاوضات السياسية الفعلية بين الأطراف، وأولها، اللقاءان السياسي والعسكري في موسكو، وذلك بانتظار الإدارة الأميركية المقبلة، التي إن تمسكت بمواقف ترامب الانتخابية، لتعذر البدائل امامها، فستوضع الحرب على سكة انهائها.

موسكو وأنقرة: اغتيال السفير لن يشعل أزمة جديدة

لن تتكرر راهناً الأزمة التي وقعت بين روسيا وتركيا عقب إسقاط الأخيرة لمقاتلة روسية. هذا ما تشير إليه تصريحات الطرفين، في وقت تحاول فيه أنقرة إلصاق عملية اغتيال السفير الروسي بـ«جماعة غولن»

بدا خلال الساعات الماضية أنّ موسكو وأنقرة نجحتا في استيعاب صدمة اغتيال السفير الروسي في تركيا، اندري كارلوف، الأمر الذي انعكس ارتياحاً على التصريحات الرسمية التركية، بما فيها تلك التي أطلقها وزير الخارجية مولود جاويش أوغلو، من موسكو، حيث كان يشارك في اللقاء الثلاثي.

ولعلّ ما ساهم في تهدئة الأمور بين العاصمتين، قراءة موسكو للهجوم الخطير الذي تعرضت له عبر اغتيال سفيرها، بأنه يهدف أولاً إلى ضرب العلاقات مع تركيا، وبأنه «يمثّل رسالة قوية إلى أنقرة، تهدف إلى لجم مباحثاتها مع روسيا في عدد الملفات، وخاصة الملف السوري»، وفق ما قال مسؤول دبلوماسي روسي لـ«الأخبار».

وأوضح الدبلوماسي الروسي أنّ «الأجهزة الروسية المعنية طلبت من السفير كارلوف خلال الشهرين الماضيين توخي الحذر لأنه مستهدف»، لافتاً إلى أنّ السبب الأساسي وراء ارتفاع مستوى التهديدات ضد كارلوف يكمن في أنه «لعب الدور الأبرز في مسار تطبيع العلاقات بين روسيا وتركيا، خاصة عقب أزمة إسقاط الطائرات التركية لمقاتلة روسية» قبل نحو عام.

ورغم أنّ الحدث ألقى عدداً من الأسئلة حول قدرة الرئيس رجب طيب أردوغان على الإمساك بانعكاسات المسارات الجديدة للملف السوري على الداخل التركي، أو أقله على قواعد حزبه «العدالة والتنمية» التي ما زال يعمل منذ أشهر عدة على تعبئتها، فإنّ أردوغان بدا أنه قد فهم «الرسالة»، وقال خلال افتتاح أحد الأنفاق في اسطنبول إنه اتصل بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين، معلناً: «نشاطر الرئيس بوتين وجهة نظره بأن تعاوننا مع روسيا في مختلف المجالات، وخصوصاً بشأن سوريا، يجب ألا يتعرقل بسبب هذا الهجوم». وأكد «الاستمرار في طريقنا رغم الإرهاب»، لافتاً إلى أنه لن يسمح لأي أحد بالإضرار بالعلاقات بين تركيا وروسيا.

(أ ف ب)

> أردوغان: نشاطر بوتين وجهة نظره بأن تعاوننا يجب ألا يتعرقل

من جهته، أمر بوتين أجهزة الاستخبارات بتعزيز الإجراءات الأمنية، وطالبها باتخاذ إجراءات إضافية لضمان الأمن داخل روسيا وفي الخارج. وأضاف أمام مسؤولين في مختلف أجهزة الاستخبارات الروسية، لمناسبة يوم العاملين في هذه الأجهزة: «نحن على علم بما يحدث في الدول الأخرى، وبالجريمة الجديدة التي شهدتها أوروبا، في برلين». وكرّر بوتين تصريحه بأن روسيا طرحت مراراً، وما زالت تقترح، «توحيد الجهود في مجال مكافحة الإرهاب الدولي»، مضيفاً أنه «لا يمكننا الانتصار على الإرهاب إلا بهذا الطريق».

في غضون ذلك، اختارت السلطات التركية والصحف الموالية لها اتهام جماعة الداعية فتح الله غولن بالوقوف وراء الهجوم، وهو الأمر الذي سبق لغولن أن نفاه بنفسه. ووفق وكالة «الأناضول» التركية، شبه الرسمية، أعلن وزير الخارجية مولود جاويش اوغلو، لنظيره الاميركي جون كيري، أمس، أن غولن «يقف وراء» عملية الاغتيال. وقال الوزير التركي أثناء الاتصال إنّ «تركيا وروسيا تعرفان من وراء الهجوم على السفير الروسي في أنقرة... إنها اف اي تي يو»، الاسم المختصر لشبكة غولن.

(الأخبار، أ ف ب)

فهي من جهة امتثلت للأوامر التركية بعدم التعرض لقوافل الخارجين من كفريا والفوعة، وظهر ذلك إثر وصول أول دفعة من أهالي البلدتين، وفي الوقت نفسه أحرقت 8 حافلات وقتلت سائقاً واحتجزت آخر (وهما من بلدة نبّل)، ومصير 6 آخرين غير معلوم حسب مصادر «الأخبار». كذلك فإن التنظيم، بالتعاون مع «حركة أحرار الشام»، يُفرغ المازوت من الباصات ثم يملؤها بكمية قليلة تكفي، بنظرهم، للعودة إلى حلب «حتى لا يُفرغها أهالي كفريا والفوعة المقطوعون من المحروقات».

عدد من العاملين والمتابعين لملف التسوية يؤكدون الرغبة العارمة في إغلاق هذه الصفحة والإعلان عن مدينة حلب خالية من المسلحين، وهذا الإعلان مسألة وقت لا أكثر في نظرهم. جلّ ما تريده دمشق وحلفاؤها اليوم هو الحفاظ على أكبر عدد ممكن من أرواح أهالي كفريا والفوعة بعيداً عن الحصار الدامي. قد تكون مسألة أيام لا أكثر، لكن هيثم الذي ينتظر زوجته يراها أشهراً. هي في الحافلة على بعد مئات الأمتار. يكلّمها على الهاتف كل ساعتين. يطمئن قلبه ثم يقول لن أصدق إلّا حين أراها

الرئيسية ليست تغيير النظام، بل مهمة تحييد الخطر الإرهابي».

كذلك، شهد المؤتمر إشارة واضحة من جاويش أوغلو، لناحية نيّة بلاده استكمال عمليتها قرب مدينة الباب الاستراتيجية ضد تنظيم «داعش»، ليعود ويضيف أنه «بعد العملية العسكرية هناك، سيكون مفيداً ترك المدينة لأهلها. هذا هو الهدف»، وفق ما نقلت عنه وكالة «ريا نوفوستي» الروسية.

وقد لا يخرج كلام جاويش أوغلو حول استكمال عملية «درع الفرات» عن إطار المشاحنة مع طهران، التي بدورها وضعت جزءاً من اللقاء في سياق مختلف عن الرؤية التركية، إذ نقلت وكالة «تسنيم» عن أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي شمخاني، قوله إن مشاركة تركيا «من شأنها أن تكون مؤثرة في توفير الأرضية اللازمة بغية إنهاء احتلال تركيا لبعض الأراضي السورية وإعادة النظر في سياساتها السابقة حول دعم المعارضين السوريين المسلحين»، مستدركاً بأن «هكذا اجتماعات لا ينبغي أن تفهم من قبل بعض الدول كأداة للمماطلة بغية استمرار سياساتها السابقة».

وعقب انتهاء اللقاء الثلاثي، أشار نائب وزير الخارجية الروسي، ميخائيل بوغدانوف، إلى أن بلاده أبلغت جميع الأطراف المعنيين بنتائج لقاء موسكو الثلاثي.

وضمن هذا الإطار، أطلع لافروف نظيره الأميركي جون كيري، خلال اتصال هاتفي، على النتائج، فيما أوضحت وزارة الخارجية الروسية، أن الاتصال الذي جاء بمبادرة أميركية، بحث «التسوية في أحياء حلب الشرقية... وقضية استئناف العملية التفاوضية بين الأطراف السورية دون شروط مسبقة».

وأوضح البيان أن لافروف أبلغ كيري «بخطط وضع اتفاق بين الحكومة السورية والمعارضة، وإجراء مفاوضات في العاصمة الكازاخستانية، أستانة».